

﴿... وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِنَبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ...﴾:

هل يعني شرط الخير - فقط - المال ^(١) أن تعلموا بإمكانية أدائهم مال الكتاب حسب الكتاب؟ والخير لا يختص بالمال مهما كان من الخير، فلو أريد منه فقط فليكن «مالاً» ثم المال ليس فيهم، بل لهم، ف «إن علمتم لهم مالاً» حاضراً أم بتكسب! لا ﴿فِيهِمْ خَيْرًا﴾.

ثم وما لم يعلم المالك أنه يؤدي مال الكتاب ليس ليكاتبه بطبيعة الحال، فلا يحتاج إلى شرط! ثم وحتى إذا دفع كل المال نقداً فضلاً عن مقدرة الآجال فلا يجوز تحريرهم ما لم يؤمنوا، حيث التحرير وجوباً وجوازاً مشروط بالإيمان ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ ^(٢) حيث الرقية في حساب الإسلام لا تعني أسر إنسان وحصره عن حريته ظلماً وزوراً حتى إذا دفع الخير المال يحرر وإلا فلا، فإنما هو ثقافة إجبارية إسلامية وتربية في مدرسة داخلية ريثما يؤمنوا فيحرروا بأسبابه: دية أو كفارة، أو دفعاً لقيمة كتابة وسواها - أو من بيت المال زكاة أماذا، أو أن خيراً هو الإيمان؟ ولا يكفي لوجوب المكاتبه مهما كان شرط جواز العتق، أو أنه الاطمئنان ألا يصبح عيباً على مولاه وعبئاً على المجتمع، أن يلقي كلاً على الناس؟ وهذا رغم اشتراطه لا يكفي شرطاً، فليكن ﴿خَيْرًا﴾ خير الحال الإيمان والاطمئنان وخير المال ^(٣) وفاءً بمال الكتابة، وإلا فلا مكاتبه، فإن هذه المدرسة

(١) نور الثقلين ٣: ٦٠ ح ١٥٦ في تهذيب الأحكام عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: كاتبهم إن علمتم لهم مالاً، وعن محمد بن مسلم عن أحدهما مثله.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٣) المصدر من لا يحضره الفقيه عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: الخير أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويكون بيده عمل يكتسب به أو يكون له حرفة وعن الحلبي عنه عليه السلام قال: إن علمتم ديناً ومالاً.

الداخلية التربوية يقصد منها تحول المماليك الكفار إلى مسلمين أبرار حتى يصلحوا للدخول في متن الجماهير المسلمة أحراراً.

فحتى إذا لم يسطعوا على كل المال ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَكُمُ﴾ وأقله الزكاة، فإن من أهلها ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾^(١) فإن دفعها لغيره أم لا تكفي وفاءً بكتابة فمن عنده كما يقدر ويكفي قضية الإطلاق في ﴿مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَكُمُ﴾ حيث الأموال كلها مما آتاه الله دون اختصاص بالضرائب، وهذا الإيتاء مساعدة لمن خدمكم لزمن وإكرام لمن أسلم عندكم أو هو مسلم، وترغيب له إلى مبادئ الإسلام، وتأکید أن الإسلام لا يشجع على تعبيد الناس إلا كمدرسة داخلية لصالحهم . . .

وأفضله ما أضمر عليه في كتابه^(٢) فعلى المولى أن يكتب مملوكه الذي علم فيه خيراً «وإن كان يسأل الناس ولا يمنعه من أجل أن ليس له مال فإن الله يرزق العباد بعضهم من بعض والمؤمن معان ويقال: المحسن معان»^(٣) وطبعاً السؤال غير المحرم كأن يسأل من مال الله ضرائب وسواها.

وهل عليه المكاتبه ولا مال عنده ولا هو قادر على تحصيل المال؟ ﴿فَكَابُوهُمْ﴾ لا تشمل من لا مال له فليست المكاتبه إلا لأجل النجوم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) المصدر ح ١٦٢ محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَتَوْهُمْ . . .﴾ [التور: ٢٣] قال: الذي أن تكاتبه عليه لا تقول: أكتبه بخمسة آلاف وأترك له ألفاً ولكن انظر إلى الذي أضمر عليه فأعطه، وفي الفقيه عن أبي عبد الله عليه السلام سمعت أبي عليه السلام يقول: لا تكاتبه على الذي أراد أن يكاتبه ثم يزيد عليه ثم يضع عنه ولكنه يضع عنه ما نوى أن يكاتبه عليه، وفي الدر المنثور ٥: ٤٧ أخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والديلمي وابن المنذر والبيهقي وابن مردويه من طريق عبد الله بن حبيب عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: وأتوهم من مال الله، قال عليه السلام يترك للمكاتب الربع.

(٣) المصدر في الكافي عن سماعة سألت عن العبد يكاتبه مولاه وهو يعلم أنه ليس له قليل ولا كثير قال يكاتبه وإن كان يسأل . . .

المقسّطة لدفع مال المكاتبه! ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾ ليست لتعني كل مال المكاتبه، اللهم إلا بعضاً كما يتمكن المكاتب ويكفي للمكاتب له، اللهم إلا إذا كان مال الله من الضرائب الكافية لثمنه.

ولماذا «أتوهم» بدل ألا تأخذوا، أو تنقصوا من حق المكاتبه؟ لأن ذلك أدخل في المحبة، أن يرى المملوك عليه حقاً، ثم يُدفع إليه من هذا الحق ما هو ينتظره، فيدفع منه ما أخذه!

وهل يكفي من خير الرقيق الإيمان وإمكان دفع حق المكاتبه، وقد يصبح كلاً على الجماعة المؤمنة، أو يلجأ إلى أحط الوسائل ليعيش ويكسب ما يقيم أوده، كوسيلة التكفف على أبواب الناس أو السرقة والخيانة، أم البغاء في الفتيات! كلا ثم كلاً أن يرضى الإسلام كلاً هكذا وعبئاً وعبياً، فإنما الأمن مع الإيمان، كيلا تصبح حرته وصمة على كتلة الإيمان.

فكما ليس التخرج - فقط - من المدرسة والجامعة مرغوباً للجماعة المؤمنة، إلا بكفاءة أمينة ثقافية وأدبية، كذلك وبأحرى للمماليك وهم أبعد من ذلك، فـ ﴿إِن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ يعني الإيمان الأمين والتربية الصالحة لحدّ يصلح أن يلج الجماعة المؤمنة في حرية التصميم والإرادة مادياً ومعنوياً! فكما أن عتقه يعني إسلامياً أن يعيش دور التربية الإسلامية، كذلك تحريره تخرّج لمن يصلح أن يكون من ضمن الجماعة المؤمنة، ونعم ما يروى عن الرسول ﷺ في تفسير الآية «إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلاً على الناس»^(١).

فإن كن فتيات لا تفتكروا أنهن بما يقدرن على البغاء أو بإكراههن

(١) الدر المنثور ٥ : ٤٥ - أخرج أبو داود في المراسيل والبيهقي في سننه عن يحيى بن أبي كثير قال قال رسول الله ﷺ : ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] قال: . . . وعن ابن عباس وعبيدة السلماني وقتادة وإبراهيم وأبي صالح ومجاهد وطاوس والحسن قالوا: أمانة ووفاء.

عليها، هن أموال فلا حاجة لهن إلى إيتاء مال، حيث البغاء ولا سيما في إكراه المؤمنات عليها ليس مالا يصلح لأية معاملة ف :

﴿... وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبِّغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣) :

صحيح أن البغاء محرمة بكل صورها وظروفها من مشركة أو مسلمة وعلى أية حال، ولكن أبشع صورها إكراه الفتاة المؤمنة على البغاء وهي تريد تحصناً.

وقد كانت سنة سيئة لئيمة بين الجاهليين احترام الإمام للبغاء، حتى جاء الإسلام المانع من البغاء في الإمام وسائر النساء، ولكنما الجاهلية ما كانت ليئسي سراعاً، فناشبة باقية منها أنهم اقتصروا على الاحتراف ببغاء الإمام، كأنهن لا حرمة لهن لأنهن إماء، وحتى إذا أسلمن، وقد كان لعبد الله بن أبي جارية تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليوافقها إرادة الثواب منه والكرامة، فأقبلت الجارية إلى أبي بكر فشكت ذلك إليه فذكره للنبي ﷺ فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على ممالئنا فنزلت الآية (١).

ف ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليست شرطاً لحرمة الإكراه، فإن البغاء لا تحصل عند إرادة التحصن إلا بالإكراه، وإنما تعني تغليظ الحرمة، ف ﴿وَلَا تُكْرَهُوا﴾

(١) الدر المثور ٥ : ٤٥ - أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كان لعبد الله... وفيه أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن أبي مالك في الآية نزلت في عبد الله بن أبي وكانت له جارية تكسب عليه فأسلمت وحسن إسلامها فأرادها أن تفعل كما كانت تفعل فأبت عليه، وفيه عن الزهري أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً وكانت لعبد الله جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريد لها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لإسلامها وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فأنزل الله الآية.

نهى خاص في أخرج ظروفه وأعوجه، فلا يفهم منه إن لم يردن تحصناً فلا بأس بإكراههن إذ لا يحصل فيه إكراه، فمثلها كمثله قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَضْعَفًا مِّمَّنْضَعَفَةً﴾^(١) إذ لا تختص الحرمة بالأضعاف، وإنما تعني إضعاف الحرمة في الأضعاف!

فنفس البغاء محرمة، وهي من المسلمة أشد، والإكراه عليها أشد من الأشد، وابتغاء عرض الحياة الدنيا من هذه الدنيا بالغ أشده في الحرمة، حرمة مربعة تعنيها ﴿وَلَا تُكْرَهُوا...﴾ فيما تعني الأمة، ثم وخامسة إذ تشمل الحرة، فالفتيات تشملهما.

وهي محرمة على «من يكرهن» ولكن المكروهة عليها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمكروهة دون المكروه، مما يدل على أن البغاء دون إكراه محرمة لا غفران بعدها دون شرط من حد وتوبة وإصلاح!

ف ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ تعطف بالغفران إلى المكروهات، وإلا فلتكن «من بعد إكراههم»! ثم البعد يخص الغفران بحالة الإكراه دون الاختيار، فقد جمعت الآية بين حل البغاء للمكروهة، وأغلظ الحرمة للمكروه، وأصل الحرمة للبلغايا غير المكروهات!

وذلك النهي المغلظ كان جزءاً من خطط القرآن في تطهير البيئة الإسلامية، وإغلاق السبل القذرة للتصريف الجنسي، أيأ كانت غايته، والصلة القريبة لهذا النهي بأمر المكاتبه، علّها الفكرة الخاطئة من بعض الموالى، من سماح البغاء أو الإكراه عليها توفية لنجوم الكتابة، حيث المال المحصل من حرام - فضلاً عن حرام الإكراه على البغاء - لا يفي نجومياً للكتابة ولا لأي نجم أمأذا؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ :

﴿آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ حسب الحاجيات والمتطلبات طول الزمان وعرض المكان حتى القيامة الكبرى، ثم ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ من أهل التقوى والطغوى، ومن ثم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فيما أنزلنا من البيئات ومثلاً وسواهما من ذكريات في القرآن.



﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي
 زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا
 شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ
 يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ
 الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً
 حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ
 مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرِنِّهَا
 وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ
 تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ
 مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ

أَيَّلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

الآيات الأربع الأولى مثلٌ للهداية الإلهية على درجاتها، واثنان بعدها مثل للضلالة على دركاتها، ثم الباقية بينات من الهدى أمثالا للهدى العامة الشاملة لعامة الكون طوعاً أو كرهاً ولكن لا يفقهون!

وآية النور هي المحور الأصيل فيها، ليس لها مثل بين آياتها التسع والأربعين بمختلف صيغها: النور - نوراً - نوركم - نورنا - نوره - نورهم - المنير - منيراً، عدد أبواب الجنة النور ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...﴾!

في هذه الأنوار لا تجد إلا أربعاً تحنُّ إلى المحسوس^(١) والباقية لا تعني إلا سواه من نور الهدى والهادي ونور الوحي، وآية النور هي الوحيدة في وجهات، منها توصيفه سبحانه بـ ﴿نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .
أجل فيها نور الرب ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٢) ونور الله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾^(٣) ونور من الله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾^(٤) و﴿نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(٥) حيث يجمعها مثلث النور: هدىً وهادياً ووحياً! .

(١) وهي ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] و﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩ .

(٣) سورة الصف، الآية: ٨ .

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٥ .

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٢ .

وأما ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ فليست إلا ناصية لهذه اليتيمة المنقطعة النظير، ولذلك سميت سورتها نوراً وكما هي نورٌ بين السور وكلها نور: نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء!

﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ في إطلاقها دون إضافة كما «الله عليم» «الله قدير» «الله حي»: صفات ذاتية ثلاث، وكما «الله خالق» «الله رازق» أماذا من صفات فعلية، فذاته نور وفعله نور وصفاته نور ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾!

أترى أن توصيفه بـ«نور» يجعله كسائر النور؟ وتوصيفه بالوجود لا يجعله كسائر الوجود كما توصيفه بأنه شيء لا يجعله كسائر الأشياء! فالله باين الأشياء بينونة ذات وأفعال وصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) مهما تشابها في تحبير اللغات «لا هو في خلقه ولا خلقه فيه - لا هو من خلقه ولا خلقه منه»: تباعض الذات أو الصفات! فإنما إبداع وخلق لا من شيء، أو من شيء خلقه وأبدعه، لا من شيء ذاته فإنه ولادة، ولا من غيره إذ لا خالق غيره!

هنالك بونٌ بين ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ و«النور الله» فالأول يعني حقيقة النور التي لا ظلام فيه ولا حدًّا ولا حدود، أزلي، أبدي، سرمدي، غني، بينه وبين سائر النور أبعد من البون بين سائر الظلمة والنور!

ولكنما الثاني قد يعني أن كلَّ نور هو الله، وحدة حقيقة النور بمراتبها كوحدة حقيقة الوجود! والآية هي الأول: ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ لا كل نور، وإنما النور الإلهي الذي لا مثيل له، مهما كان له مثل في صفات غير ذاتية وأفعال!

ولأن النور هو الظاهر بذاته المظهر لغيره، وهو بين مطلق ومحدود، سرمدي وسواه، غني وسواه، ما يناسب الله وما لا يناسب إلا سواه، فمما

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

يعنيه ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾: أنه ظاهر بذاته رغم خفائه، ومظهر لغيره في أي من مراحل الظهور.

أترى بعدد أنها صفة ذاتية له سبحانه كمثلث الصفات؟ وهو قبل غيره لم يكن إلا ظاهراً لذاته لا مُظهِراً ولا مَظْهُراً لغيره، فلمن يُظهر غيره قبل خلقه؟ ألنفسه؟ وكل شيء ظاهر له في العلم دون إظهار! أم لغيره؟ وقد كان الله ولم يكن معه شيء! فإنما الإظهار بالخلق فظهور له لا بذاته كما عن الرسول ﷺ «نور إني أراه»^(١) رؤية البصيرة معرفياً بعد رؤية البصر لدلالاته الآفاقية والآنفسية! «وقد خرق له في الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى»^(٢) ف ﴿اللَّهُ نُورٌ...﴾ كذلك الله ﷻ^(٣).

هو نور ومثله نورٌ آخر، ولا مثيل له في نوريته كما في سواها من صفاته تعالى، إذاً فلا يعني ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ ظهوره بذاته وهو مستحيل إلا لذاته، وإظهاره لغيره وهو من صفات فعله لا ذاته!

فالنور إذاً هي من صفاته الفعلية، كما تعنيه ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فليس هو قبل السماوات والأرض نوراً إلا ظهوراً لذاته دون أي إظهار! إلا

(١) الدر المثور عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: نور أتى أراه، ورواه في م إيمان ٣٩١ ت تفسير سورة ٥٣، ٧ حم ١٥٧٢٥، ١٧١، ١٧٥. وفيه ٥: ٤٧ - أخرج البخاري مسلم والنسائي وابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا تهجد في الليل يدعو: اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك حق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت.

(٢) القمي بإسناد متصل عن الإمام الرضا ﷺ في حديث.

(٣) فضيل بن يسار عن الصادق ﷺ سألته عن قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورٌ...﴾ ﴿النور: ٣٥﴾ قال: كذلك الله ﷻ ثم سألته عن ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ﴿النور: ٣٥﴾ فقال: محمد ﷺ.